



## «عزبة بيانوتي»

بقلم الدكتور شكري فيصل

مأساة من نوع خاص ، ومؤكد ان الانسان نفسه ليس هو الذي رسم طريقها ، وانما هو القدر الذي يمثل جيل حسنين كله ، قدر هذا الجيل الذي يفادر مرحلة من مراحل تكون الامة الى مرحلة اخرى .. يفارق مرحلة من مراحل التمتع والضعف الى مرحلة جديدة من مراحل التمركز والقوة ، ويودع حياة غامضة تختلط فيها المفاهيم الى حياة اخرى واضحة ليس فيها الا مفهوم واحد هو مفهوم الحياة الفنية السليمة .

ان «حسين» والجيل الذي يمثله كان ضحية الحياة السياسية المتعنتة التي كانت تحياها مصر «والافطار العربية الاخرى متقاربة في ذلك» بالذات اصلت من قيم ، ونشرت من مفاهيم ، وخلقت من الوان السلوك المرعب الذي يحاول دائما ، وفي نفس الوقت الذي يكشف فيه عن ربه وزيفه ان يجد لهذا الزيف المبررات .

ويعيش هذا الجيل ، جيل حسنين ، هذه الحياة على انها مأساة عميقة ، لانه لا يجد الطريق السليم الذي يضع اقدامه فيه .. ان اصوات الحرية ، والجلاء ، والهزء بالاستعمار ، والايمان بان هذا الشعب اقوى من بطش المستعمر ، تصل الى اذنيه ، ولكنها لا تبلغ قلبه .. ذلك ان حب الحياة المزيفة قد طفى عليه الى حد بعيد .. وبلغ من طفيانته انه قلب القيم الحقيقية لهذه الحياة ، فجعل البناء للاجنبي بناء للوطن ، والتمسك للمصلحة المادية تمييزا لمصلحة الجماعة ، واعتبر المال وحده هو القيمة الكبرى في هذه الحياة .. وحين يكون المال وحده هو الذي يعيش في ذهنه ، فان لنا ان نتصور اية مأساة انسانية يتردى فيها الفرد ، وتردى فيها الجماعة .

### ب - مأساة «اسماعيل» :

ولم تكن مأساة واضحة في حياة حسنين ، ولكنها كانت اشد وضوحا في حياة اخيه اسماعيل .. ان اسماعيل صورة اخرى من صور هذه المأساة الضاحكة التي تثير الدمع في عينيك في اللحظات التي ترسم فيها الابتسامة على شفثيك .. وفي بعض مواقف المسرحية كنت اجد دمعة كبرى في عيني ، فكنت اخفقها مرة ، وكانت تسبقني الى خدي مرة اخرى ، وكنت في كل مرة احاول ان اكرم ذلك وان احفظ هذا الانفصال المثير فيما بيني وبين نفسي .. ثم لم استطع ذلك ، فشكوت الذي انا فيه الى الصديق الكريم الذي كان الى جانبي ، فاذا هو يعاني مثل الذي اعانيه واذا هو يعيش اعماق هذه المأساة في كل بطل من أبطالها .

ومن الذي يستطيع ان ينجو من محيط المأساة ، هذا الذي وضعنا فيه «محمود السعدني» المؤلف ، وعبد الرحمن الخميسي الممثل حين مثل شخصية اسماعيل ، اخي حسنين ؟ .. ومن الذي يستطيع ان يظل بمنجاة من تأثيرها الفني .. لم يكن وجه حسنين الدابل - النورد ، وعينه النافذتان - الناعستان ، وحركاته المضطربة - المتزنة ، لم تكن هذه شيئا امام الكلام الذي كان يجري على شفثيه ، والاحواء التي كان ينشرها هذا الكلام .. ان اسماعيل عاش ثورة 1919 ، وكان خطيبا من خطبائها وطلا من أبطالها ، قضى خمس عشرة سنة في السجن ثم خرج الى الحياة .. فلم يجد فيها ماكان يجب ان يجده .. ان خط الثورة الذي بدأ لم يتابع طريقه ، انقطع حيننا ، وانحرف حيننا ، وفضل الشعب طريقه ، وبقي الانجليز في مصر يخلمون وينصبون ، ويأمرون وينهون ،

حين اعود الليلة الى غرفتي بعد هذه الساعات الثلاث التي قضيتها في مسرح معهد الموسيقى العربية اجدني مدفوعا الى ان اتحدث عن المسرحية الجديدة التي تقدمها فرقة عبد الرحمن الخميسي : مسرحية بيانوتي . ولست ادري كيف انقطعت الصلة ما بيني وبين انتاج عبد الرحمن الخميسي الادبي .. ولعل اعباء العمل في الجامعة وما كانت تقتضيه من تفرغ هي التي حالت بيني وبين ان اتابع كثيرا من الانتاج الحديث الذي اود ان لانقطع عنه .

ويبدو ان الذي غاب عني من عمل «الخميسي» في الترجمة والتأليف لم يكن بسبب من انقطاعي فحسب .. ولكنه كان بسبب من انصراف «عبد الرحمن» الى اعداد فرقته وتقديم مسرحياته . وفي ظني ان «محمود السعدني» مؤلف المسرحية و «الخميسي» ممثلها قديما ، هذا العام ، عملا بارزا في الحياة الفنية سواء في التأليف او الاخراج مع هذه الفرقة الناشئة المنطلقة .. وسيظل الذين شهدوا هذه الرواية يذكرون طويلا هذه الملهة - المأساة التي استطاعت المسرحية ان تحكم حبكها وعرضها والنفاذ بها الى اعماق الناس .

### 1 - مأساة ، هذه المسرحية أم ملهة ؟

والذين اعلنوا عن المسرحية كانوا يقولون انها «كوميديا» .. ترى ، اصحيح هذا الوصف الذي اطلق عليها ؟ .. هل كان الانسان اليقظ ، المتبع ، الذي يشهد هذه المسرحية يحيا جو الملهة .. اكان مؤلفها او احد من ممثلها حين كتبها او اخرجها يتنفس بنفس الضاحك اللاهي ؟ مامن شك في ان هنالك بعض المواقف التي تثير الضحك ، وبعض الاجوبة التي تنتزع الفهقة ، وبعض الحركات والاحداث التي تبعث على الابتسام .. ولكن ، اكان الغلاف العام للمسرحية ، والتفاصيل الجزئية الكثيرة فيها هي من هذا اللون الذي يبعث على الضحك الصافي .. ام كانت شيئا اخر مخالفا كل المخالفة ، بعيدا كل البعد ، عن الابتسام والفهقة والضحك ؟ ..

في زعمي ان الكوميديا كانت مأساة .. ان القدر الضاحك منها اما كان رداء خارجيا شفافا ، وان احدا من الذين كانوا يتابعون المسرحية واعين او غافلين ، لم يكن يضحك دائما ، وانما كان يضحك احيانا ملء شفثيه .. ذلك اننا كنا مشمودين جميعا الى مأساة عنيفة هي مأساة هذه الاجيال المتلاحقة في الحياة العربية ، منذ ثورات مابعد الحرب الاولى ، وثورات فترات المعاهدات وما بعد المعاهدات حتى يوم الناس هذا .

ولكن القوة الفنية في «عزبة بيانوتي» في التأليف والتمثيل ، هي التي استطاعت ان تطف هذه المأساة ، وان تهب بعض مواقفها بسمسة الساخر ، او تهلل الضاحك ، وان تهيل عليها بعض الالوان الزاهية هنا وهناك .. على حين يضح الجانب الاكبر منها بالسواد الكالغ ، ويبعث الاشفاق والحزن العميق .

أ - مأساة حسنين :

والحق ان شخصية حسنين في كل تطوراتها مأساة عميقة .. ولكنها

وياخذون ولا يعطون .. ولذلك لم يستطع « اسماعيل » ان يتلامح مع هذه الحياة الجديدة ، فاذا هو غارق في السكر الى شحمتي اذنيه .  
 اكانت هذه هي الصورة التي ارادت المسرحية ان تعرضها لهكذا الانسان ؟ .. كلا .. وانما كان ذلك هو اللون الخارجي لهذه الصورة، رداءها الظاهر .. كان وراء هذه الصورة مأساة انسان يحترق .. تأكل الخمر كبده ولكنها تزيد من وعيه ، ومن توهجه ، ومن شدة احساسه بالحياة من حوله ، بالحياة الكريمة التي يندأها مجتمعه ، ويقتل فيها اخوه « حسنين » معاني الخير ..

ان نبعة الاحساس عند « اسماعيل » نعبة غريبة ، نعبة حارة ، دافئة، من ارض باردة .. وعلى حين كان من المنتظر ان يمثل هذا السكران كل معاني البلاهة والبلادة والفيوبية - فانه كان يمثل ، في رداء مسن البلاهة والبلادة والفيوبية - كل معاني الوعي والتشبه والادراك .. والجمل الحازمة القصيرة على شفثيه كانت ، في لحظاتها المناسبة ، تضع الامور في مواضعها ، وتحاول ان تعيد القيم المحطمة ، على يد اخيه وتصرفاته، الى الاذهان والقلوب .. ان سكر « اسماعيل » هو الذي اثار الوعي، وهذه التبتة لم تكن نبتة شيطانية ، وانما كانت نبتة ملائكية الجذور ، سماوية الساق ، في ارض طبقتها السطحية شيطانية .. ان رائحة الخمرة كانت توابك كل لحظة من لحظات حياة « اسماعيل » ولكنها كانت تحاول ان تطرد من المجتمع روائح الخبث والعفن وانضلال .. وامله من ارووع ماكان في المسرحية هذه الواقف الواعية التي كشفها اسماعيل « الخميسي » بسكره ، والاضوء الذي سلطه من عينيه اللتين اطبقهما السكر ، والقوة التي كانت في ملاحظاته وتعايره على ذبول شفثيه وتراخيها .. ان سكر « اسماعيل » كان في حقيقته وعيا كاملا .. لم يستطع الجيل الجديد ممثلا بـ « ممدوح » - ابن حسنين وابن اخسي اسماعيل - ان يدركه بوضوح ، ولم يستطع هو ان يعبر عنه بوضوح .. وانما امل بلجلج به ، ويومئ اليه ، ويرقبه .. انه كان يحيا هذه المأساة العنيفة مأساة الخمرة ، ويجيا مأساته الكبرى : مأساة ادراك كل شيء،

وعدم القدرة على التصريح بكل شيء .. كانت تلك مأساة الجيل الذي اشعل فتيل الوطنية .. ثم وجد انه هو نفسه من ضحاياه وان الاجنبي لم يكن وحده ضحاياه .. تلك مأساة الجيل الجديد الذي شهد مبدءا الطريق الى الحرية ، والانحراف عن الطريق على يد بعض الذين قادوا معركة الحرية في شرقنا العربي

ح - ولم يكن من هذه المأساة ان يعيش مثل جيل « اسماعيل » الواعي حياة السكر والفيوبية ، فحسب .. وانما كان منها ان تكون هذه الحياة كذلك موضع الاتهام والتعنيف ، وموضع الازدراء والسخرية .. يشميرون الى رأسه الفارغ والى عقله المضطرب والى لسانه الذي لا يبين .. ويكون من هذا الاتهام ان يعجز عن الدفاع عن نفسه الا بهذه السخرية المرة التي كانت تنثال على لسانه ، وتنبدى في حركاته .

ان شخصية اسماعيل كانت تسكر وكانت تدرك انها تسكر ، وكانت تكثر من الشراب وكانت تعرف ما الذي يفودها اليه الشراب .. ولكنها كانت تفعل ذلك كله عن وعي كامل لوقفها .. كانت تعرف انها بهذه الخمرة تحاول ان تنأى عن المجتمع الذي يضج بالفساد وان تسخر منه .. وكانت في الواقع انما تتحجج عليه وتثور به ، وتلعنه وتتأبى على العيش الطبيعي فيه .. وقد كشف اسماعيل عن ذلك ذات مرة في فورات الانفعال حين صاح في وجه اخيه : « انا باسكر عشان افوق منك »

السكر والافاقية !.. السكر من نحو ، والافاقية من نحو اخر ، هما محور هذه الشخصية التي تمثل جيلا كاملا غلبه اليأس من اجيال وطننا العربي .

#### د - الشخصيات الأخرى : ممدوح

الشخصيات الأخرى في القصة قد لا تعبر عن المأساة هذا التعبير العميق .. هناك شخصية ممدوح الذي يمثل الجيل النقي الصافي .. انه كذلك عاش مأساة قصيرة بين حبه وبين مسكره .. ولكن هذه المأساة التي نعرفها جميعا في كثير من المسرحيات لم تكن شيئا جديدا .. بل - وأقولها منصفًا - لم تقصد المسرحية اليها .. فما كانت لها ، ولم تركز اهتمامها بها ، ولم يكن لهذه الخصومة بين المسكر والبيت بين الذهاب الى الجبل في السويس والبقاء في بيت الخطيئة - من شأن كبير في بناء القطعة ، وفي تمثيلها كذلك .

ان ممدوح في الواقع كان في المسرحية تعبيرا عن الانتصار .. واذا كان ابوه وعمه « حسنين واسماعيل » يهآن هذه الملهة كل معالم المأساة العميقة ، كل تجاعيد الالم وسمات الحزن .. واذا كانا هما اللذين ينفذان فيها بالنعمة والاسى - فان شخصية « ممدوح » تعطي هذه المسرحية معنى الانتصار الذي يريده المؤلف والممثل للجيل الجديد .. الجيل الصافي الذي ترك الجامعة واقبل على التطوع ليحارب في جبال السويس ورمال الاسماعيلية ، والذي ادار ظهره لمنطق المفاوضة وازور عنه .. الجيل الذي لا يستطيع ان يضع في حسابه المصلحة الخاصة ممثلة في « عزبة بيانوتي » وفي اقامة الابنية وتأجيرها .. لقد ضحى ممدوح بكل الذي جنى ابوه ، بستين عاما من كده الذي كان يمكن ان ينتقل اليه سليما وان ينعم به هائسا ، لانه كان يضع مصلحة وطنه نصب عينيه ..

ان القيم الوطنية تنتصر في شخص ممدوح على كل القيم المادية الشرهة او القيم المنحرفة التي مثلها ابوه .. ويعود الحظ الوطني السليم سليما في حياة الشعب ، وتحترق عزبة بيانوتي ، ويكون احترامها تعبيرا عن هذا الانتصار ، ويضحى جيل « ممدوح » بدمه وماله وروحه من اجل انتصار الوطن ، وتبدو الحياة من جديد في مصر ذات معنى بعد ان افقدتها سنوات الانحراف معناها الصافي ، ويتابع الشعب بعد ذلك ثوراته ، بعد ان يزيل عن ثورة ١٩١٩ اكداس الاتربة والرمال التي انهالت فوقها فطمست ألقها ، وحجبت عن الناس انوارها الهادية .

ان فضل هذا الانتصار يعود ، في قسم كبير منه ، الى هذه الشخصية الفاتية-الحاضرة ، المخورة - الواعية ، شخصية اسماعيل .. فقد كان ، على غيبوبته ، عنصر الرقابة .. وكان ، على تارجه نقطة الثقل .. وكان عنصر التشبه اليقظ على كل مظاهر الغفلة والبلادة .

#### صدر حديثا

- |      |                   |                                |
|------|-------------------|--------------------------------|
| ٦٠٠  | سبعون             | المرحلة الثالثة لميخائيل نعيمة |
| ١٧٥٠ | علم الاقتصاد      | جزءان ترجمة برهان دجاني        |
| ٢٠٠  | الشاعر القروي     | بقلم عبد الطيف شرارة           |
| ٢٠٠  | الرصافي           | » » » »                        |
| ٢٠٠  | ابو القاسم الشابي | » » » »                        |
| ١٢٠٠ | المحاسن والمساوىء | للبيهقي                        |
| ٣٥٠  | الفرجال           | طبعة جديدة لميخائيل نعيمة      |

الناشر : دار صادر - دار بيروت

## ٢ - الاجيال الثلاثة في المسرحية

وكذلك التقى في هذه المسرحية ثلاثة اجيال . جيلان منها يمثلان  
المناساة ، كل منهما - حسنين واسماعيل - يمثل وجهها لها .. وجيل  
ثالث يمثل الانتصار على المناساة وهو جيل « ممدوح » .  
أ - اننا حين نضع المسرحية في نطاقها من الحركة الوطنية ومن التاريخ  
لهذه الحركة نستطيع ان نلمح فيها هذه الاجيال الثلاثة المتقاربة او  
التعاقبة :

واحد منها هو الذي يمثل ثورة ١٩١٩ واستمساكه بقيم هذه  
الثورة واصرارها عليها بالرغم من كل ما لقي من عذاب السجن والامه .  
وواحد منها هو الذي يمثل الانحراف بثورة ١٩١٩ عن طريقها  
السليم ، وبغفل عن قيمها ، ويستبدل بقيمتها هذه سلما اخر مغلوبا ،  
في درجاته العليا ما هو أدنى ، وفي درجاته السفلى ما هو خير ..  
ويحاول ان يجد لسلكه وقيمه المبررات .

وواحد منها هو الذي يمثل الصحو الجديدة ، ويرث عن عمه  
- لا عن ابيه - القيم الصحيحة لثورة ١٩١٩ ويجدها في الثورة  
على الانجليز ومطاردتهم ، ويبدأ ايمانه من الايمان بالله والايمان بالحق  
والايمان بالشعب ويترك لهذا الايمان ان يسيطر عليه سيطرة كاملة ،  
ويقدم له زيت وقوده من دم حياته .

وهذه الاجيال الثلاثة اقتضت كذلك ، بطبيعة الحال ، انماط ثلاثة  
من السلوك ، اوحت بها الظروف التي احاطت بها .. وكان وراء هذا  
السلوك هذه النفسيات المختلفة التي تحدثنا عنها .

ب - هذا اذا نحن وضعنا المسرحية في نطاقها من الحركة  
الوطنية .. اما حين ننظر اليها من وجه فني فاننا نستطيع ان نؤكد  
الظاهرين التاليين :

الاولى : ان معنى « الكوميديا » لم يكن قط واضحا في اذهان  
الذين افوها او في اذهان الذين مثلوها .. على النحو الذي اشرت  
اليه من قبل .

والثانية ان جانب المناساة في هذا العمل المسرحي كان اجابيا ..  
فقد انتهى الامر الى انتصار الجيل الجديد ، جيل المثل الاعلى ، مرة  
على نفسه .. بالمعنى الضيق .. اعني على الحب ، ومرة اخرى على  
بيته واسرته ومجتمعه ، وبخاصة على اعدائه الخارجيين .. اعني على  
الانجليز ، ومحاربتهم وجاتهم .

## ٣ - ما هو المرتكز النفسي لهذه المسرحية ؟

تلك هي المسرحية بوجه عام .. ولكننا نحب ان نتساءل - عالم  
يقوم بناء هذه المسرحية من نحو ادبي ؟ .. ما هو الخط الاساسي  
الذي يلزم كل اجزائها من داخلها ، والطابع البارز الذي يبدو عليها  
في وجوها الظاهرة ؟ .. هل هنالك سمة اساسية يقوم عليها البناء  
الفني ؟ ..

قد تكون هنالك مجموعة من السمات التي تكون وجه هذا العمل  
الفني .. ومع ذلك فان هذا العمل يبدو قائما على مرتكز واحد اساسي،  
ذلك هو التنسب الى التناقض في المجتمع ، وابرز هذا التناقض في  
التأليف والاخراج ، وتمسك في لغة الرواية واسلوبها .

ان التناقض هو الخط الكبير الذي كان يعيش في ذهن المؤلف  
والمخرج ، وهو المرتكز النفسي والفني لهذا العمل الذي كتبه السعدني  
واختاره واخرجه الخيمسي .

ولعله من هذا التناقض - فيما يخيل الي - نبئت فكرة المسرحية،  
واتخذت من الحركة الوطنية مدارها ومظهرها .. بمعنى ان النبعة  
النفسية هي التي تسربت بالجو التاريخي ، او بتعبير اخر ، ان التناقض  
كان هو الموضوع الاولي في هذا العمل .. ولكنه لم يبد مجردا ، ولم  
يكن له ان يبدو مجردا في العمل الفني .. لان المؤلف لم يقصد الى  
مسرحية فكرية مجردة او مسرحية يغلب عليها الطابع المجرد كما في اهل  
الكهف .. وانما وجد المؤلف الحادثة او الاحداث التاريخية ، فتعلق  
بها ونسج عليها نسجه النفسي الخاص .

## من التحرير

\* يعتبر التحرير عن عدم تمكنه من نشر كثير من  
المواد التي زلفها لهذا العدد ، وفيها ما هو قيم فعلا ،  
ويرجو ان تنشر هذه المواد في الاعداد التالية .  
\* تشكر « الادب » الاديب الفنان الاستاذ شريف  
الراس الذي أسهم بهذا العدد باهداء المجلة تصديم  
الغلاف الجديد لهذا العام .

وانا في هذا لا احث ان اخرج الرواية عن مدارها التاريخي ..  
ولكني اريد ان ادل على ما وراءه في نفس المؤلف وفي اختيار الخيمسي  
لهذه المسرحية وارتضاها .. وسيظل الحادث التاريخي واضحا ، ولكن  
التناقض سيظل يدور حول هل كانت هذه الاحداث هي الاصل .. وايهما  
كان نقطة البداية في نفس المؤلف وفي ذهنه ؟

مهما يكن من شيء فنحن نحس هذا التناقض واضحا حين نشهد  
المسرحية .. انه التناقض بين هذه الاجيال الثلاثة ، والجماعات التي  
وراءها .. التناقض الذي كانت تعيش فيه الحياة في فترة ما قبل  
المعاهدة وما بعدها .. وانه ليظهر في اعمال الابطال وعلى الستهم ،  
في تصرفاتهم واقوالهم .. وقد كانت الحياة مظهرا خصب لهذا التناقض،  
لان هذا الجيل كان يحيا حياة غريبة .. كان معلقا بين الواقع والمثل ،  
متارجحا بين الخنوع والثورة ، مضطربا بين الاستسلام والتابي ، ضالعا  
بين الصحو والسكر ، ينوس بين البلاهة والذكاء ، وبين الشيع والفقر،  
وبين القصر والكوخ ، وبين الجهل والعلم ، وبين البناء والخراب،  
وبين الشرف والسرقة ، وبين الامانة والخيانة .. ان كل هذه المظاهر  
من التناقض وعشرات امثالها كان يتنفس فيها هذا الجيل وكان يختنق  
بها ايضا .. بعض الذين كانوا ينتفسون وهم  
يقتشون عن المبررات « حسنين » .. وبعضهم كان يتنفس فيه ولكنه  
كانت تمنع لعينيه صور الشرف والامانة فيدعي الاستمساك بها وهو  
غارق الى اذنيه في الخيانة والسرقة « المعلم الش » .. وبعضهم كان  
يختنق فيه كما كان شأن اسماعيل .

وقد كان لا بد لهذا التناقض الصارخ من ان يتمزق ، وان يخرج  
من هذا التمزق جيل جديد يحاول ان يرد الامور الى نصابها .

وقد بدا هذا التناقض في اجزاء المسرحية واضحا .. واضحا في  
علاقة ما بين الشخصيات ، وواضحا في سلوك هذه الشخصيات نفسها .  
في نطاق ما بين هذه الشخصيات كان هذا التناقض في بيت  
حسنين ، بينه وبين اخيه اسماعيل ، بينه وبين زوجته ، بينه وبين ابنه .  
وفي نطاق الشخصية وحدها كان هذا التناقض الذي عبرت عنه  
ماساة حسنين نفسه ، وماساة اسماعيل ، وماساة المعلم الش .

وتجسد هذا التناقض في طائفة من الاعمال في نطاق التأليف ،  
وفي طائفة من الاشارات والحركات والحوار في نطاق التمثيل ، كلها  
جديرة بالاشادة بها والتقدير لها .

وانعكس هذا التناقض كذلك في الاسلوب الذي كتب به الحوار  
واذي به .. بل لعل هذا الاسلوب هو الذي كشف عنه ودل عليه ..  
فهناك دائما في اكثر اجزاء الرواية هذا التناقض الذي يبدو في  
الاشياء ( الورقة لل زجاجة الخمرة او للف المواسير - وفتح الزجاجات  
وفتح البيوت - والمصلحة العامة والمصلحة الخاصة ) .. والتناقض الذي  
يبدو في تجانس الالفاظ ( اخ ، لنداء الاخ في ساعة العسرة ، واخ  
للتائف من الشدة .. وامثلة كثيرة اخرى ) .. والتناقض الذي كتب به  
الحوار وادي به والذي استطاع ( المعلم الش ) ، في موقف من مواقفه ،  
ان يعبر عنه ابلغ تعبير حين تحدث عن غاراته في جبل السويس الى  
الاب « حسنين » والابن ممدوح .. الى جيلين مختلفين متنازعين ، لكل  
منهما وجهة : وجهة الاب الذي يريد من الفارة سرقة المواسير من  
المسكرات ، والابن الذي يريد من الفارة زحزحة الانجليز عن هذه  
- التتمة على الصفحة ٩٨ -

## عزبة بياوتي

— تمة المنشور على الصفحة ٨٣ —

المسكرات وترويعهم .. كان ابن البلد ( أش ) اشد ما كان براعة حين مثل هذا التناقض في الحوار وفي الأداء .. فقد كان له من لغته المنطوقة ذاتها ، ومن اللغة الأخرى لغة التمثيل لغة العين والحجاب واليد ، ومن اللغة الثالثة لغة الإيحاء والإغراء والتأثير — كان له من هذه اللغات الثلاث رصيد ضخم .. وفق فيه — في موقف حذر دقيق كهذا الموقف الذي كان فيه الأب والابن ينتظر انباء الفارة — الى ان يطمئن كلا منهما عن غايته ، وان يشير الى انتصاراته .. ان طعن الاعداء وسرقة المواسير — على التناقض البعيد العنيف بينهما — كانا يتلافيان في لغته وتمثيله احسن تلاق .

### ٤ — مبررات هذا التناقض

اني حين اشير الى هذا التناقض كمرتكز نفسي اساسي لهذا العمل الفني اجد ان مظاهره اكثر من ان تعد .. ولكني احب ان اذكر انسه هو الذي يعكس في اختلاط الامور على الجيل التقدم ، جيل ما قبل المعاهدة وما بعدها .. سواء منه الجيل الذي يقف في القمة «حسنيين» او يزحف على الارض « المعلم أش وعصابته » .. انهم سواء في هذا التناقض .. وليس يستره او يغطيه محاولات التبرير التي قام بها حسنين ، فقد كانت هذه المحاولات قصيرة ، اذا سترت الرأس كشفت القدمين ، واذا غطت القدمين عرت الرأس .. ولهذا لم يكن منطق الاستعمار مكان ما اذ كان منطوقا متهافنا .. ان هذا الاستعمار الذي كان يقول على لسان حسنين اننا بحاجة الى علماء لا الى ثأرين .. والذي كان يقول ان التلاميذ يجب ان ينصرفوا عن السياسة ، والذي كان يقول ان الانجليز لا يغلبون — لقي هزيمته في تمزق حسنين بقلبه .. اعني بفؤاده .. وفي قيادة الجيل الجديد ومبادئه ، وفي اجلاء الاستعمار وطرده .

هذه التبريرات التي كانت تحاول ان تكون « عاقلة » ، يقابلها تبريرات اخرى لهذا التناقض .. ولكنها تبريرات ساذجة بريئة لا تأتي هذه المرة على لسان الطبقة العليا في المجتمع على لسان ( حسنين ) ، وانما تأتي على لسان الطبقة الأخرى ، على لسان ( المعلم أش ) الذي ألف ببساطة ويسر بين الشرف وبين الخيانة ، بين اللصومية وبين الجهاد ، بل ألف بين السرفة وبين الفنائم في لحظة من لحظات المسرحية كانت موفقة كل التوفيق .

ولكن التناقض لا تنهض له هذه البررات ، ولم يكن بد من ان تتمزق الشرنقة عن ولادة فراشة جديدة .. عن ولادة الجيل الذي مثله « ممدوح » والذي عبر عنه الجيل السابق له بلفظة لها في اللهجة المصرية وفي بعض مجتمعاتها التي اعرفها ، في مجتمعات السياسة وفي مجتمعات الجامعة ايحاء غريب ، فيه من الحنان اكثر مما فيه من النقد — هي لفظة « الاولاد » .

ان « الاولاد » الذين ظهروا على مسرح الحياة كما ظهر ممدوح ورفاقه على المسرح هم الذين كسفوا زيف الجيل ، ودلوا على تناقضه بعفويتهم .. لم يصلوا الى ذلك عن تعمق وفلسفة ودراسة ، ولم يأتوا من وراء البحر ، ولم ينزلوا من السماء ، ولم يصلوا كخبراء يدرسون ويعتقون ويقروون ثم يخرجون ليشيروا الى الزيف والتناقض .. وانما احسوه احساسا عفويا ، وعبروا عنه احيانا من وراء ادراك غائم .. ان « ممدوح » احس في الجو الذي يعيش فيه قريبا من المعركة برائحة غريبة ، ولكنه لم يستطع ان يتبينها .. كان ينظر الى ابيه ، وكان يرى المعلم أش ، وكان يسمع عمه اسماعيل السكر ، وكان له مع زملائه

قرارات وغايات .. ولكنه كان — بصفاته — يحس ان الارض التي يمشي عليها ليست دمتة ولا طرية ، كأنما تحتها فحيح افعى او حركة عقرب .. ولذلك انطلق ذات مرة يقول ببساطة ( انا مش فاهم .. فيه ايه ! .. ) .. ان هذا الجيل الجديد يعبر عن الصفاء ولا يعبر عن الإدراك العميق ، ويمثل العفوية ولا يمثل التجربة ، ويستطيع ان يبلغ غاياته وسط الاغلام الكثيرة التي توشك ان تنفجر تحت قدميه .. وانه لينساون باخلاص مع كل المواطنين لانه يفترض فيهم الخير جميعا ثم لا يتقده من انحراف بعض هؤلاء المواطنين الا رعاية الله له ، وقدره في ان يسلم اليه امر الوطن .

مهما يكن من شأن عنصر التبرير في المسرحية ، فان التناقض يظل الركيزة الاولى التي لا تغنيها هذه المبررات بمقدار ما تكشفها وتدل عليها .

### ٥ — ماذا تجسد عزبة بياوتي ؟

بقيت كلمة قصيرة احب ان اقولها عن عزبة بياوتي نفسها .. ان هذه العزبة التي بناها حسنين وأبنى في سبيلها جهده وقواه واهدر كرامته ، تجسيد رائع لكل مطامع الجيل المنحرف الذي ألهته المادة وخرجت به من ثورة سنة ١٩١٩ الى النقيض .. الى التعاون مع الانجليز، وسممت تفكيره ، وشوهت في ذهنه كل المنطق الفكري ، وفي حياته كذلك كل المنطق النفسي السليم .. صرفته عن زوجته الحسنة وحجبت اليه ، في بعض المواقف السريعة ، حركات خادمته .. وفي القدر الضئيل من الانتقادات الى النساء ، في لحظات عابرة ، اعطى «حسنيين» في المسرحية خادمته اكثر مما اعطى زوجته فكسان ذلك تمثيلا لهذا الانحراف النفسي الذي كانت العزبة ، بهمومها وديونها وانفائها سببا فيه .

وصحيح ان العزبة لم تظهر على المسرح ، وما كان لها الا باسلوب من اساليب الاخراج التي لا تتسع لها ، فيما يبدو ، ثروة فرقة عميد الرحمن الخميسي وقدره مسرحه المستعار .. ولكنها كانت دائما في اذهاننا ومعنا ، لانها كانت في كل شيء ووراء كل شيء من تصرفات هؤلاء الممثلين .. وكانت بخاصة على لسان « حسنين » وفي ذهنه ، في عقله وقلبه ، في حياته الداخلية وفي حياته الخارجية .. لم تختف ابدا عن الساحة الخلفية للمسرح ، وانما كانت تبدو لاعتنا في البعد الرابع ، ولم يستطع شيء ان يغطيها .. كان املها الحياة لحسنيين وأزمتها الموت له ، كان يعيش بها ، ولها ، فاذا اوشك ان ينقطع حبل قلبه ذكرها فعاش .. كانت حياته المادية وموته المعنوي ، وكانت جماع نشاطه في الحياة وجماع انحرافاته .. كان قيامها ابذانا بموت جيله وانحرافها ابذانا بحياة الجيل الجديد .. ان العزبة هي تجسيد مادي لكل هذه المطامع والانحرافات .. افكانت تسمية للرواية بها واختيار اسم « بياوتي » لها تعبيرا يجعل هذين القطبين الكبيرين في حياة الاقليم المصري قبل ثورة ١٩٥٢ .. الاجانب من ناحية والمطامع المادية الشرهة من ناحية اخرى .. اكانت لفظنا « عزبة » و « بياوتي » تركيزا لهذا الواقع !

### ٦ — المرأة ، والجيل في المسرحية

وبعد ، فقد كنت اتمنى ان اتحدث عن ناحيتين اخريين من هذه المسرحية : عن المرأة فيها وعن الجيل الجديد ، جيل « الاولاد » . ولكني اشعر ان الحديث قد طال من نحو .. وان المرأة لم تكن على بال المؤلف ( في حدود النص الذي سمعناه في المسرحية ) ولا على بال المخرج في كثير ..

ان القدر الذي احتاجت اليه المسرحية من ( المرأة ) استطاعت ان توفق فيه ، وان تكفي به .. استطاعت زوجة حسنين — الى جانب خادمته في بيته وابنة اخيه وزوجة المعلم أش — ان تعطي المسرحية

ان هؤلاء «الاولاد» يحتاجون الى اكثر من هذا الحيز القصير الذي بقي لهم .

★

تمنيت لو كانت صلتني بالتمثيل اشد واقوى .. اذن لاستطعت ان اقول شيئاً عن الممثلين .. ولكن حظي من ذلك لا يحول بيني وبين ان الاحظ دور المهندس « او الباشمهندس » دور ضعيف .. وان احسدا لا يتصور ان يكون « الباشمهندس » بمثل هذه النفاهة والبساطة ، بحيث يعطي المخطط الذي أنفق فيه ليله ونهاره للرجل السكير الذي تفوح منه رائحة الخمر بكل هذا اليسر وهذه السهولة التي اريد ان اقول شيئاً عن المسرح ايضا ؟ عن « الديكور » الذي لم يتغير طيلة الفصول ؟

★

لقد كانت حلوة هذه الليلة التي قضيتها اشهد عزبة « بيانوتي » على قلق القعد وضيقه .. كانت غنية ، مسرحية ، وتمثيلاً ، ورفقة ايضا .. كانت غنية رغم كل الفقر الذي تعيش فيه فرقة الخميسي فيما يبدو .. ولكن ليست هذه المجموعة الناشئة من مثليها - واكثرهم في طراوة العمر - تعبيراً عن الجيل الجديد ؟ .. تعبيراً عن هؤلاء « الاولاد » في الحياة الفنية !؟

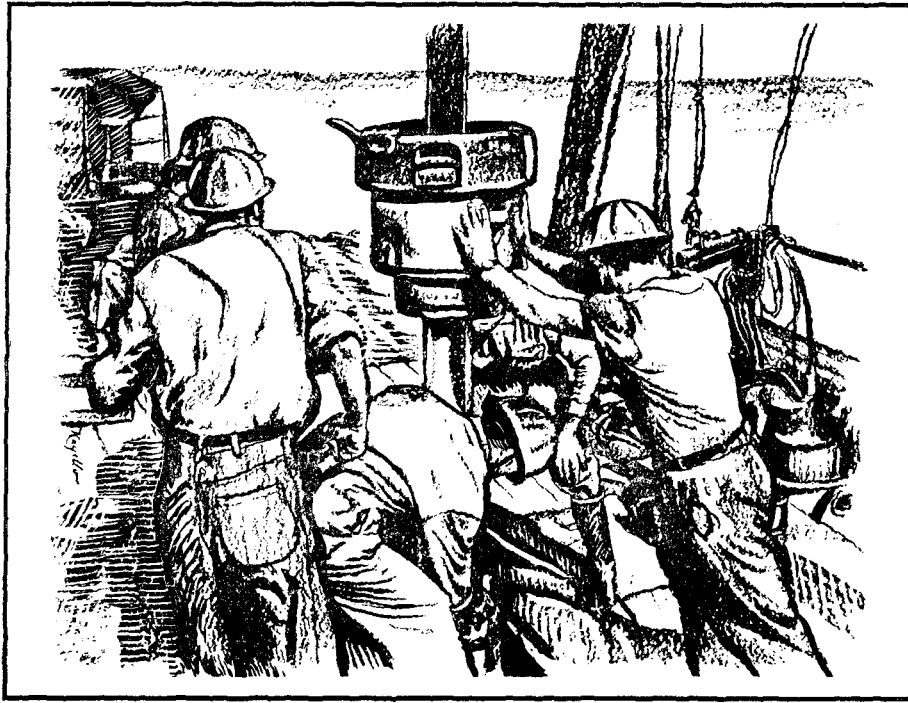
شكري فيصل

من ذلك ما تحتاج اليه ، دون تبذل او اغراق او الحاح .. اذا استثنينا الصراخ المتصل لامرأة العلم الشئ .. انها كانت بقدر ما يجب ان يكون الملح في الطعام عند ذوي الاذواق المعتدلة .

اما « الاولاد » ، سواء اولاد الجامعة ، او الاولاد الاخرون ، اولاد البلد .. الذين ياكلون الحجر ، هؤلاء الذين هم « أنصح من المفايريت الزرق » فان لهم حديثاً اخر كنت اطمح ان اقله ، وان اتحدث عن الاعياء التي القتها المسرحية عليهم ، والمهمات التي نديتها لهم ، ووجه الحياة التي ارادت لهم ان يفروه .. ولكنهم لم يفلسوا ، ولم ينحرفوا ، ولم يتمزقوا .. كانت مهمتهم فوق طاقتهم ، وشوطهم ابعد من قدرتهم ، وواقهم اقسى من عضلاتهم ، ولكنهم مضوا .. انتصروا على الانحراف والتناقض والتمزق ، واستطاعوا ان يكشفوا عن الافق الجديد للحياة الجديدة حين شقوا هذا الافق في السويس والاسماعيلية بايمانهم وينادفهم .

لقد سكن هؤلاء الاولاد عزبة « بيانوتي » وتركوها تحترق .. ان ذلك هو بالضبط التعبير عن دورهم .. وجدوا في وسط الظلام ، واستطاعوا ان يخرجوا منه .. ان النار التي احرقت العزبة هي التي انت على الاستعمار القديم ، وهي القوة التي هدمته وبشرت بالحياة الجديدة وعملت لها .. وكان زواج « حسنية » من « ممدوح » هو التجسيد المادي لهذا الظفر ، ظفر جيل الاولاد ، الظفر الذي يتوجه الحظ.

## حفر بئر في حقل برقانة



حفر الآبار عمل شاق يتطلب قدرة كبيرة من المهارة والجهد الجسماني ولقد حققت شركة نفط الكويت حتى الآن أكثر من ٣٩٠ بئراً ، جعلت الكويت رابع بلد منتج للنفط في العالم .



شركة نفط الكويت المحدودة